

د. وداد بيلامي

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

## جينالوجيا الإصلاح الديني الأوروبي

كان الإصلاح الديني هو الحدث الأبرز والأكثر أهمية في التاريخ الأوروبي للقرن السادس عشر، فقد أسهم في تفكيك السلطة البابوية وتعزيز النزعة الفردية، والمشاعر القومية، ولعل ذلك تم دون قصد. فمارتن لوثر Martin Luther لم يكن من الهراطقة، ولا نتاجا مباشرا للنهضة الأوروبية، التي نمت قبيل انطلاقة حركته الإصلاحية. لكن المفارقة، أن حركته تلك أفضت إلى العلمانية المعاصرة.

وتاريخيا يعد مفهوم "الإصلاح الديني" كما تجلى في الدين المسيحي مفهوما قديما وله جذور ممتدة وهذا ما يؤكد مارتن لوثر نفسه من خلال أسئلته العميقة التي طرحها وهو يصارع ذاته والشك الذي كان يجتاحه: "كم من مرة ارتجفت وأنا أواجه مناجاة روي التي كانت تصرخ محاولة كبح موقفي المعادي للكنيسة: هل أنت الوحيد العاقل؟ هل فقد الجميع جادة الصواب؟ وهل كانت أجيال وأجيال قبلك غارقة في الجهل وجئت أنت كمحدث؟ وهل ستعلن القطيعة الأبدية مع المسيحية؟"<sup>1</sup>. تلك الأسئلة التي يجيب عليها معترفا بأنه ليس محدثا ولكنه مجرد مصلح يدعو للرجوع للنص المقدس الصحيح سالكا خطى من سبقوه من دعاة الإصلاح الديني. لقد كان رائد الإصلاح الكبير ما رثن لوثر يستمد سكينه روحه وقوة فكره وحججه ممن سبقوه وتحديدا الراهب جون هوس Jean Huss الذي أحرقت الكنيسة حيا سنة 1415، فقد شكلت كتاباته أساسا مرجعيا له وأنموذجا لما عرف بـ "الإصلاح الديني الأول"، لأنها تحيل إلى سياق تاريخي كثيف يفسر كيف حصلت عملية إصلاح المنظومة الدينية، خلال القرن السادس عشر،

وبالرجوع إلى مصادر الفترة في محاولة لتتبع جينالوجيا الإصلاح الديني الأوروبي نلاحظ أن الحركات الإصلاحية اتخذت منذ نهاية العصر الوسيط أشكالاً مختلفة، جماعية وفردية، ودعت في مجملها إلى التصدي لهيمنة الكنيسة وضرورة الرجوع للعقل حيث انتعشت الجامعات بعيدا عن اللاهوت، فدرّست مواد كالفلسفة، والقانون، والفيلولوجيا التي كشفت تحريفات الإنجيل بالعودة إلى النص الأصلي المكتوب

<sup>1</sup> -Anna Menerbi-Belgrado: *L'avènement du passé. La Réforme et l'Histoire*, Champion, Paris, 2004, P.17.

بالإغريقية. وتعاضم رجال القانون على حساب رجال الدين، وتلقى الرهبان تعليماً جامعياً انعكس فيما جديداً للاهوت وجسد من خلال ما عرف "الإصلاح الديني الأول". لكنها تعرضت لقمع شديد ومتواصل من طرف الكنيسة والقوى الإقطاعية. إلا أنّ الأفكار المستمدة من التراث العقلاني التي عبّر عنها المصلحون في وقت متأخر من العصر الوسيط، كانت أكثر أهمية بالنظر إلى الدور الذي لعبته في التمهيد لأفكار القرن السادس عشر البروتستانتية التي أفرزت واقعاً تاريخياً كان له كبير الأثر في التأسيس لأفكار جديدة أخرى أكثر جرأة، خاصة في المرحلة اللاحقة المعروفة بعصر التنوير. وإن كان مصيرهم هو الإحراق أحياناً على يد الكنيسة الكاثوليكية.

#### كلمات مفتاحية:

جينالوجيا، الإصلاح الديني الأوروبي، جون هوس، الإصلاح الديني الأول، النهضة الأوروبية، مارتن لوتر، البروتستانتية.